



العلاقة بين الحاكم والشعب ليست علاقة نفعية، فحسب، والنظرة إليه تقديرًا، أو رفضًا، ليست مبنية، فقط على أداء مؤسساته، وحسن رعايتها، هذا طبعًا في البلد التي تبني دولها على المؤسسات..

العلاقة تقوم على ذلك، وعلى احترام الحاكم **لقيم هذا الشعب**، ووفائه للعقد الذي قامت العلاقة بينهما عليه، وفي صميم ذلك قدرته على حماية شعبه، وتوفير الأمن بكل تجلياته لهم؛ فأين تذهب هذه العلاقة حين يتحول الحاكم قاتلاً للشعب، لرجاله ونسائه، وأطفاله وشبابه؟!

العلاقة بين الدولة وشعبها علاقة **عضوية**. صحيح أنها ليست كذلك في معظم البلدان العربية، لكن التراكمات الكمية، تؤدي - كما يُقال - إلى تغيرات نوعية؛ فبعد أن قتل بشار الأسد ما يزيد عن سبعة آلاف من أبناء شعبه، واعتقل عشرات الآلاف ورملآف النساء، ودمّر أسرًا بأكملها، وعادى قطاعات، بل اقتحم مدناً وحاصرها، فعل العدو شبراً بشبر، وذراعاً بذراع... ألم يَغْدُ محتلاً مجرماً وغريباً؟!

نطرح هذه الأسئلة، ونحن ندخل مرحلة جديدة يُعاد فيها ترتيب العلاقة بين الشعوب العربية والدول التي تحكمها، أو السلطات التي تضبطها؛ لأن مفهوم الدولة أوسع من مجرد جهات تنفيذية تحكم إلى حزب، أو أسرة، إنها مجموعة من المؤسسات التي انبثقت من إرادة الشعب، ووُجِدت من أجله، تتبدل الحكومات، وتبقى الدولة.

لكن **الحاصل في بلاد عربية كثيرة**، ومنها سورية التي تشهد استقطاباً يهدّد بانقسامات عميقة في نسيج المجتمع، هو وثوب فتنة إلى الحكم، في ظروف غير طبيعية، على غفلة من الناس، ثم استثارها بالحكم، وثروات البلد ومقدراته، دونهم، وفوق هذا، الكتم على أنفاس الناس، وتخوين كل من لا ينخرط في خطابهم الانتقائي الشعاراتي.

هذا الوثوب غير الشرعي إلى الحكم قائم على حساب **شخصية الدولة**، وتمثيلها للشعب كله، ولذلك صُمممت أجهزة الأمن والفرق الخاصة؛ من أجل حماية هذه الطّغمة الفاسدة للحكم والإرادة.

ليتجلى دورها في هذا الوقت الذي خرجت فيه جموع الغاضبين، ومن فاض بهم كيل التهميش.. ليتجلى دورها في الدفاع المجنون عن هذه السلطات، ولو أدى ذلك إلى تخريب صورة الجيش في نظر أبناء وطنه، والسيطرة على مهمته العليا في

حماية البلاد من أيّ عدوan خارجي.

ولو أدى هذا الانفلاتُ الأهوجُ من تلك الفرقـة الخاصة (الرابعة) العمـاء الـلـوـاء إلى قصف الأحياء السـكـنية وترويع الأهـالـي، في كلـ المـنـاطـق المـنـفـضـة، حتى لو خـلـت تلك المـنـاطـق من أـيـة شـبـهـة بـوـجـود جـمـاعـات مـسـلـحةـ، كما حدـثـ مـرـارـاـ في قـلـبـ العاصـمـة دـمـشـقـ، وـمـنـهـ حـيـ الـبـرـزـةـ. من الواضح أنـ النـظـمـ الرـاسـخـةـ لا تـتـصـرـفـ بـهـذـاـ الـقـدـرـ منـ الـوـحـشـيـةـ، وـلاـ تـتـحـاجـ إـلـيـهاـ، وـلـكـ منـ يـتـورـطـ فـيـ هـذـاـ الـمـنـحدـرـ إـنـمـاـ هوـ الـخـافـفـ حـتـىـ الـعـداـوـةـ، وـالـيـائـسـ حـتـىـ قـطـعـ كـلـ الـخـيـوطـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ فـئـاتـ وـاسـعـةـ منـ شـعـبـهـ.

بالطبع لا يمكن للعلاقة أن تكشف سافرةً إلى علاقة محـتلـ؛ لأنـهاـ فيـ الـأـسـاسـ لمـ تـبـنـ عـلـىـ ذـلـكـ، هـذـاـ سـبـبـ، وـالـسـبـبـ الثـانـيـ، أـوـضـحـ، وـهـوـ أـنـ الطـغـمـةـ الـحـاكـمـةـ لـيـسـ لـهـ شـعـبـ آخرـ غـيرـ هـذـاـ الشـعـبـ، كـمـاـ هوـ حـالـ (إـسـرـائـيلـ)ـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ، مـثـلـاـ. أـمـاـ الـعـلـويـونـ الـذـيـنـ يـمـثـلـونـ قـرـابـةـ 8%ـ حـسـبـ بـعـضـ التـقـيـرـاتــ. فـهـمـ لـاـ يـقـوـونـ عـلـىـ التـصـدـيـ لـمـاـ تـبـقـيـ مـنـ الشـعـبـ فـيـ سـوـرـيـةـ، فـضـلـاـ عـنـ كـوـنـهـمـ، لـيـسـوـ مـحـسـوبـينـ مـعـ النـظـامـ؛ فـقـدـ أـصـدـرـتـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـتـقـيـنـ الـعـلـويـينـ بـيـانـاـ جـرـيـاـ فـضـحـوـ فـيـ مـحاـولـاتـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ رـبـطـ الطـائـفةـ الـعـلـويـةـ بـهـ وـبـنـظـامـهـ..

وـدـعـواـ الـمـوـاـطـنـيـنـ الـسـوـرـيـنـ الـعـلـويـيـنـ وـأـبـنـاءـ الـأـقـلـيـاتـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ الـمـتـخـوـفـيـنـ مـمـاـ سـيـلـيـ اـنـهـيـارـ الـنـظـامـ إـلـىـ الـمـشارـكـةـ فـيـ إـسـقـاطـ الـنـظـامـ الـقـمـعـيـ، وـالـمـسـاـهـمـةـ فـيـ بـنـاءـ الـجـمـهـورـيـةـ السـوـرـيـةـ الـجـدـيـدـةـ، دـوـلـةـ الـقـانـونـ وـالـمـوـاـطـنـةـ. كـمـاـ أـكـدـواـ عـلـىـ وـحدـةـ الشـعـبـ السـوـرـيـ بـكـلـ أـطـيـافـهـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـومـيـةـ، وـالـعـمـلـ عـلـىـ بـنـاءـ دـوـلـةـ حـرـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ تـحـفـظـ حـقـوقـ مـوـاـطـنـيـهـ بـالـتـساـويـ، وـهـذـاـ لـاـ يـتـمـ إـلـاـ بـإـسـقـاطـ الـنـظـامـ الـاـسـتـبـداـريـ الـحـالـيـ.

وـلـاـ يـقـتـصـرـ الـأـمـرـ عـلـىـ الـمـتـقـيـنـ الـعـلـويـيـنـ، فـبـحـسـبـ عـضـوـ الـمـجـلـسـ الـو~طنـيـ السـو~ر~ي~، خـالـدـ كـمـالـ، أـنـ عـدـدـ كـبـيرـاـ مـنـ الـعـلـويـيـنـ أـكـدـواـ لـهـمـ أـنـهـمـ ظـلـمـواـ مـاـ ظـلـمـ الـآخـرـونـ.

وـفـوـقـ ذـلـكـ فـإـنـ زـعـماءـ هـذـهـ الطـائـفةـ وـمـشـاـيخـهـاـ يـسـتـبعـدـ أـنـ يـتـصـفـواـ بـضـيقـ الـأـفـقـ، أـوـ قـصـرـ الـنـظـرـ؛ فـيـنـسـاقـوـاـ وـرـاءـ الـأـسـدـ وـعـصـابـاتـ، وـيـقطـعـوـاـ كـلـ الـوـشـائـجـ الـتـيـ تـرـبـطـهـمـ بـأـبـنـاءـ وـطـنـهـمـ، وـأـبـنـاءـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ الـآخـرـينـ.

وـالـمـرـجـحـ أـنـ يـنـهـجـواـ نـهـجـ الزـعـيمـ الدـرـزـيـ وـلـيـدـ جـنـبـلـاطـ الـذـيـ – عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ تـقـلـبـاتـهـ الـكـثـيـرـ وـمـرـاـغـاتـهـ مـنـ عـدـوـ إـلـىـ صـدـيقـ – يـظـلـ يـلـحـ، فـيـ خـطـابـهـ إـلـىـ طـائـفـهـ، عـلـىـ أـهـمـيـةـ اـنـدـمـاجـ الدـرـوزـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـأـنـ لـاـ يـتـقـوـقـعـوـاـ عـلـىـ أـنـفـهـمـ، حـتـىـ فـيـ الـأـوـقـاتـ الـعـادـيـةـ، وـحـتـىـ لـوـ كـانـ هـذـاـ التـقـوـقـ لـاـ يـعـنـيـ الدـخـولـ فـيـ صـرـاعـاتـ مـعـ الـأـغـلـيـةـ.

بـالـطـبـعـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـذـيـ يـؤـثـرـ الـانـهـيـازـ إـلـىـ الشـعـبـ، وـالـوـطـنـ، وـبـذـلـكـ يـمـكـنـ الـحـفـاظـ عـلـىـ حـيـاةـ طـبـيعـيـةـ، فـيـ حـالـ تـحـقـقـ التـغـيـيرـ الـمـنـشـودـ مـنـ الـقـوـىـ السـو~ر~ي~، وـهـوـ دـو~ل~ة~ لـكـلـ م~و~ا~ط~ن~ه~ا~..~ هـذـاـ الـمـنـطـقـةـ لـيـسـ قـانـونـاـ ثـاـيـتاـ، وـلـاـ سـيـماـ، إـذـاـ أحـاطـتـ بـالـعـلـويـيـنـ، وـبـغـيـرـهـمـ فـيـ الـطـوـائـفـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ ظـرـوفـ الـاحـتـقـانـ الـطـائـفيـ، وـمـنـ الشـرـقـ الـعـرـاقـ الـذـيـ تـنـذـرـ أـزـمـتـهـ السـيـاسـيـةـ بـيـنـ رـئـيـسـ الـوـزـراءـ، نـورـ الـمـالـكـيـ، وـنـائـبـهـ، طـارـقـ الـهـاشـمـيـ بـأـجـوـاءـ خـطـرـةـ بـيـنـ الشـيـعـةـ وـالـسـنـنـةـ.

فـالـخـطـورـةـ فـيـ أـنـ يـجـرـ النـاسـ عـلـىـ خـيـارـاتـ لـاـ يـرـيدـونـهـاـ، كـمـنـ حـسـرـ فـيـ وـسـطـ زـحـامـ مـنـ النـاسـ؛ فـتـرـاهـ يـنـدـعـ بـغـيرـ حـرـكتـهـ الـذـاتـيـةـ..ـ فـالـخـوـفـ إـنـمـاـ هوـ مـنـ الصـرـاعـاتـ السـيـاسـيـةـ الـفـوـقـيـةـ أـكـثـرـ مـاـ هوـ مـنـ التـنـاقـضـاتـ، أـوـ الفـرـقـ الـمـذـهـبـيـةـ الـطـائـفـيـةـ؛ـ لـأـنـ غالـبـيـةـ النـاسـ يـنـهـمـكـونـ فـيـ أـمـورـ حـيـاتـهـمـ الـلـو~م~ي~ة~ وـشـؤـونـ مـعـاـشـهـمـ، وـقـدـ عـاـشـوـاـ مـعـاـ قـرـونـاـ، دونـ أـنـ يـتـخـلـلـهـاـ الصـرـاعـ الـطـائـفـيـ إـلـاـ قـلـيلـاـ، ذـلـكـ أـنـ الـقـوـاعـدـ الـدـيـنـيـاـ لـاـ تـرـازـ لـاـ ضـرـورةـ لـمـتـلـ هـذـهـ الصـرـاعـاتـ، وـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ مـنـ قـتـلـ وـتـهـجـيرـ وـتـضـحـيـةـ بـالـمـصـالـحـ وـالـاسـتـقـرارـ..ـ فـإـنـاـ ضـمـنـتـ لـلـعـلـويـيـنـ وـغـيـرـهـمـ حـقـوقـ الـمـوـاـطـنـةـ فـلـنـ يـخـتـارـوـاـ الـاحـتـرـابـ الـمـفـضـيـ إـلـىـ الـإـقـصـاءـ وـالـتـهـمـيـشـ.ـ أـوـ إـلـىـ مـصـيرـ مجـهـولـ.

فـالـخـاسـرـ الـأـكـبـرـ فـيـ هـذـاـ الرـهـانـ هـوـ الـنـظـامـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ يـسـتـندـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ الشـرـعـيـةـ الـدـاخـلـيـةـ، أـصـلـاـ، وـلـمـاـ اـنـدـلـعـتـ الـتـوـرـةـ انـكـشـفـ عـنـ مـحـتـلـ، فـيـ ثـيـابـ نـظـامـ وـطـنـيـ مـمـانـ!

